



تنمية

واقع التجهيزات والخدمات الاجتماعية بجماعة بني بونصار

ذ. ياسين خشاني

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي/ باحث في الجغرافيا

مقدمة:

عرف المغرب قفزة نوعية في ميدان التجهيز والخدمات الاجتماعية منذ الاستقلال، فجل اهتمامات الإدارة المركزية كانت تروم تحقيق نسبة عالية في الاستفادة من هذا الميدان في مختلف التراب الوطني، انطلاقا من أن التنمية الشاملة لا يمكنها أن تتحقق إلا عن طريق العبور من بوابة توفير الحاجات الأساسية للمواطن، لأنه الهدف والغاية في تحقيق التنمية، فهو محركها إذا ما وجدت له ظروف الكينونة والاستقرار، لهذا تم الاهتمام بمجالات التجهيزات الأساسية من طرق وغيرها، و بالخدمات الاجتماعية من تعليم وصحة. لكن توجهات الدولة في هذا المجال اتصفت بالانتقائية، بحيث توجهت إلى المجالات الأكثر حظا، وهي كما كانت تعرف إبان الاستعمار بالمغرب النافع، هنا ركزت الدولة الفتية مجهوداتها وتبريرها في ذلك بمحدودية الميزانية العامة للدولة، لذا تم إعطاء الأولوية للمناطق الأكثر قابلية للبنية التحتية، والتي استثنى منها



بالطبع منطقة جبال الريف، وهكذا عرفت تراكما للتخلف في جميع المجالات، كرسه النقص الحاد في التجهيز الذي خلفه الاستعمار الإسباني بالشمال.

لم يغب الخصاص الحاد المسجل على مستوى البنية التحتية والخدمات الاجتماعية الذي عرفه المغرب، عن تصورات المسؤولين وعن المخططات الإستراتيجية للحكومات المغربية المتعاقبة، إذ وضعت الدولة مجموعة من المخططات والبرامج الهادفة إلى تقليص الهوة بين المغرب النافع والمغرب غير النافع من جهة، ثم بين العالم القروي والعالم الحضري من جهة ثانية.

راكم العالم القروي عبر عقود مظاهر التخلف فهو أشد حاجة للتجهيزات، خاصة في ظل اتساع رقعة الفقر والأمية والهجرة القروية. وباعتبار التنمية القروية أولوية التنمية الوطنية¹، أعطته الدولة نصيبا مهما من أولوياتها عبر تسطير مجموعة من البرامج القطاعية الهادفة، إلى تمدين العالم القروي عبر برنامج الكهرباء القروي الشمولي PERG، وبرنامج تزويد السكان القرويين بالماء الصالح للشرب PAGER، ثم البرنامج الوطني للطرق القروية PNR. PNR.

لم تخرج الجماعة المدروسة عن السياق العام الذي عرفه العالم القروي، وخصوصا العالم القروي بجبال الريف، فهي بدورها راكمت مظاهر التخلف والعزلة في التجهيزات الأساسية والخدمات الاجتماعية، فما هو واقعها؟ و إلى أي حد استفادت من البرامج الوطنية للاستدراك؟



1- توطين جماعة بني بونصار

تقع جماعة بني بونصار بقلب جبال الريف الأوسط، وقد تم إحداث الجماعة وفق التقسيم الإداري لسنة 1961²، ويدخل خلق الجماعة في إطار تدعيم سياسة اللامركزية واللاتركيز الإداري الذي تبنته الدولة منذ ذلك الوقت.

تبلغ مساحة الجماعة 132 كلم مربع، وهي تنتمي إداريا إلى قيادة بني بونصار وبني أحمد إمكزن التي أحدثت مؤخرا، وتدخل في دائرة تاركيست إقليم الحسيمة في جهة طنجة تطوان حسب التقسيم الجديد، وهي تحد شمالا بجماعتي زرقت ومولاي أحمد الشريف، وشرقا بجماعة بني بشير، وجنوبا بجماعتي بني أحمد إمكزن وتغزوت، وغربا بجماعتي إسكن وعبد الغابة السواحل.

أما جغرافيا، فالجماعة تقع بين خطي عرض 34°45 و 30°30 شمال خط الاستواء وخطي طول 4°20 و 4°35 غرب خط غرينتش³.



2-1-1- الشبكة الطرقية

تمر بالجماعة المدروسة الطريق الوطنية رقم (8) على مسافة يقدر طولها بـ 15 كلم، وهي تمر عبر مركز الجماعة، وبالتالي فمؤشر الكثافة الطرقية بالجماعة هو 0.113 كلم في الكيلومتر المربع، وهو معدل لا بأس به مقارنة مع الجماعات القروية بالمغرب في ميدان الربط بالطرق الوطنية، لكن هذا المعدل لا يجب أن يسقطنا في مغالطات تهتم انفتاح الجماعة، إذ هذه الطريق تعتبر كغيرها بالريف الأوسط من أخطر الطرق وأكثرها رداءة، فهي دائما و باستمرار تتعرض للانجراف والانهيار، بسبب التعرية المائية التي تفرضها التساقطات الغزيرة التي تشهدها المنطقة، هذا بالإضافة إلى التساقط الدائم للصخور وانهيار التربة التي توجد في عالية الطريق، مما يؤدي إلى شل حركتها، الشيء الذي يستدعي دائما تدخل المصالح المختصة التي تبقى تحركاتها بطيئة في تيسير حركة المرور، هنا تظهر أهمية تدخل الساكنة المحلية، والتي دائما ما تقوم بدور المصالح المختصة في فتح الطريق.



صورة 1: الطريق الوطنية رقم 8 (المصدر: البحث الميداني 2011 و 2012)



صورة 2: تساقط الصخور على الطريق الوطنية رقم 8 (المصدر: البحث الميداني 2011 و 2012)



صورة 3: بعض أشغال إصلاح الطريق الوطنية رقم 8 (المصدر: البحث الميداني 2011 و 2012)

تتعرض الطريق الوطنية رقم (8) دائما - كما سبق الذكر - للإكراهات الطبيعية، لهذا وجب تدخل الدولة عن طريق مديرية التجهيز في متابعة وصيانة هذه الطريق، وعليه تم القيام بمجموعة من الإجراءات منها:



- بناء قنطرة على واد مانكو بالقرب من مركز الجماعة أواخر سنة 2008، بتكلفة مالية بلغت 4.4 مليون درهم؛
- إصلاح الطريق في محور يقع بجماعة بني بونصار على مسافة 5.4 كلم، تم إنهاء أشغاله في أواخر 2009.

إذن تعتبر الطريق الوطنية رقم (8) شريان الحياة بالنسبة للجماعة والسكان على حد سواء، فهي تلعب دورا مهما في ربط الجماعة بالمدن والمراكز الحضرية القريبة خاصة تاركيست وتاونات، لكن في نفس الوقت تبقى بعيدة عن الدواوير، وهنا تظهر أهمية المسالك القروية.

2-1-2- المسالك القروية

تلعب المسالك القروية دورا مهما في فك عزلة الدواوير داخل الجماعة، فهي تؤمن ربط الساكنة بالطريق الوطنية من جهة، ومن جهة أخرى تؤمن ربط الساكنة باستغلالياتها وبمختلف الدواوير الأخرى.



صورة 4: أحد المسالك الطرقية بجماعة بني بونصار (المصدر: البحث الميداني 2011)



إن المسالك القروية ما هي إلا إبداع الساكنة المحلية، فهم من يرسمونها ويعبدونها ولو بشكل عشوائي، لكن في نفس الوقت تلعب الدور المنوط بها، لذا فأهميتها تبقى جلية في الحياة اليومية للمواطنين. وبالجماعة المدروسة توجد شبكة مهمة من المسالك القروية تختلف أهميتها حسب نقط ربطها، فالمسالك التي تربط الدواوير بالطريق الوطنية ذات أهمية كبيرة، بحيث يوليهما السكان نوعا من التعاون والتضامن المستمر في سبيل تعبيدها، أما تلك التي تربط الساكنة باستغلايتها فتبقى عبارة عن مسالك صالحة فقط لمرور الأشخاص والدواب، وليس السيارات وغيرها من الآليات، وهنا جرد للمسالك الطرقية بالجماعة.

جدول رقم 1: المسالك الطرقية بالجماعة المدروسة	
الطرق القروية	طولها ب"كلم"
تيكراو و تيزي خطاب	8
تيزي خطاب ودوار تاروي	8
تاروي وتامسييت	1
المركز وأمدارفو	1
المركز وأكريمين	3
أكريمين وتامسييت	5
لداي وأمعطان	4
المركز وأمعطان	9
لوطا وأبرقشيشن عبر أدوز وأمراض	5
أمدارفو وتامديت عبر زرقت	13



تشكل المسالك القروية أهمية قصوى في الربط بين مختلف النقاط الحيوية بالجماعة، فهي تيسر الحركة السكانية ونقل البضائع والسلع، لكن ما يعاب عليها هو رداءة وضعيتها خاصة في فصل الشتاء.

تتوفر الجماعة على شبكة من المسالك القروية وصل طولها إلى 57 كلم، يبقى أهم تلك المسالك المسلك الرابط بين أمدارفو و دوار تماذيت، عبر دوار زرقت على مسافة 13 كلم، قاطعة أصعب الطبوغرافيات وأشدّها تضرسا بالمغرب، فما يعاب على المسالك القروية بالجماعة هو رداءة وضعيتها خاصة في فصل الشتاء، لذا وجب وضع برامج محكمة من طرف الجماعة . باعتبارها المرجع الأول للسكان المحلية وباعتبارها النواة المسؤولة عن التنمية في نطاق ترابها . في تعبيد هذه الطرق والمساهمة في فك عزلة ساكنتها، لكن تبقى الإكراهات المادية تحول دون التدخل الفعال للمؤسسة الجماعية. مما يفرض تدخلا على المستوى الإقليمي عبر البرنامج المسطر من طرف الدولة، والذي تضطلع به مديرية التجهيز والنقل من خلال البرنامج الوطني للطرق القروية.

تم تسطير البرنامج الوطني للطرق القروية PNRR من طرف الدولة عبر أشطر، وهو يرمي في المجمل إلى إنشاء الطرق القروية وفك العزلة عن الساكنة، وبالتالي الحد من الهجرة القروية، تمت مباشرة العمل به عبر الشطر الأول الذي عرف انطلاقته سنة 1995، والذي كان يرمي إلى بناء 5786 كلم وإعداد 5450 كلم، بحصيلة إجمالية حددت في 11236 كلم⁴، قسمت بين الأقاليم حسب الأولوية وحسب اختيارات لا يعرفها إلا المسؤولون، والتي غالبا ما تكون لها علاقة بالانتخابات.

حدد نصيب إقليم الحسيمة في 256 كلم، رغم أنها في أمس الحاجة إلى حصة أكبر من تلك المقدمة. بالنسبة للجماعة المدروسة لم تستفد من هذا الشطر من البرنامج، إلا في حدود 9 كلم حددت بين بني بونصار وسيدي مسكين، ولقد تم انتهاء الأشغال بها.



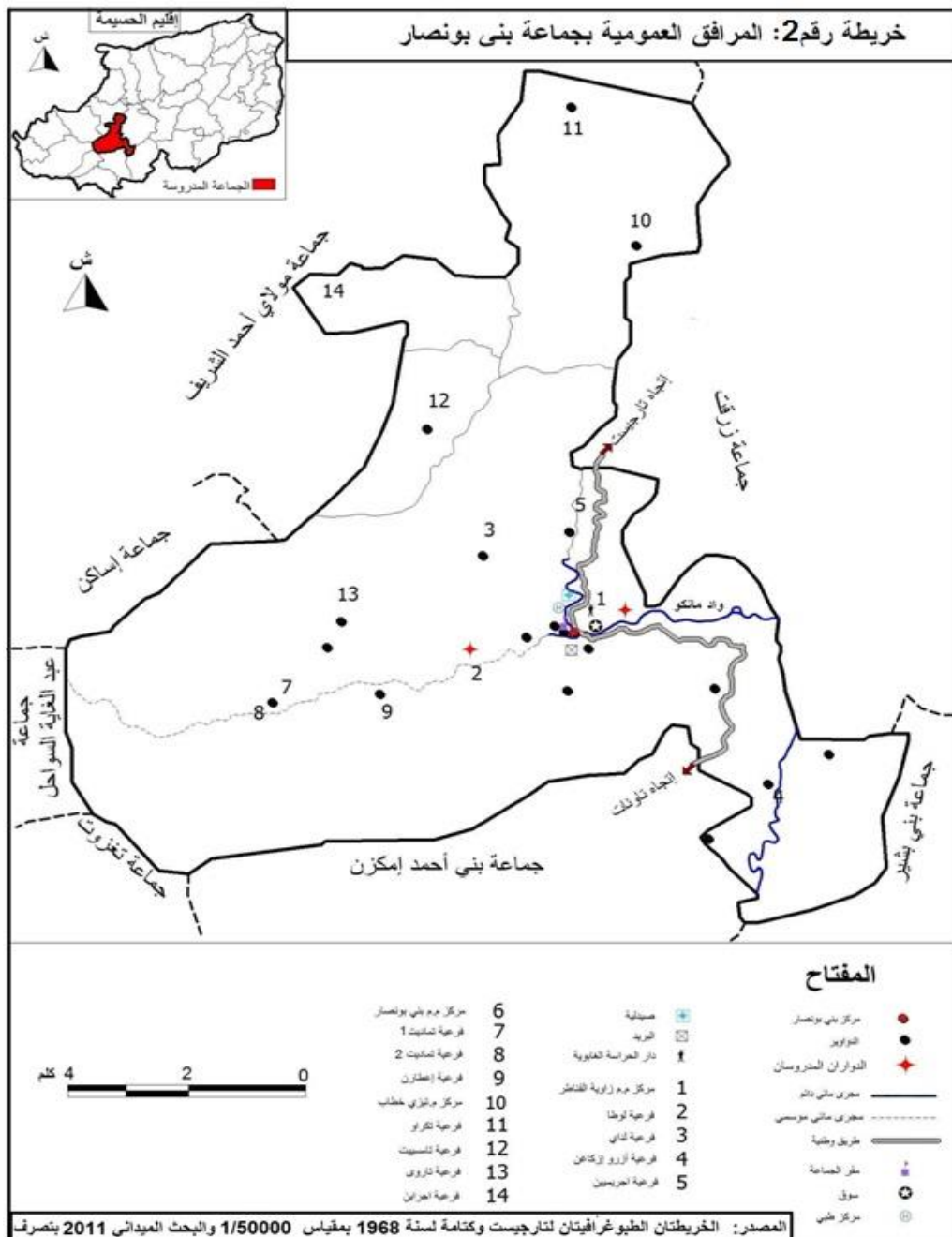
تجدر الإشارة إلى أن البرنامج الوطني للطرق القروية تساهم فيه - حسب الاتفاق المبرم من طرف وزارة التجهيز و النقل ووزارة الداخلية- كل من وزارة التجهيز والنقل بنسبة 85%، ثم المجلس الجهوي والمجلس الإقليمي والجماعات المحلية مجتمعين بنسبة 15%.

بعد الشطر الأول جاء الشطر الثاني مكملًا لسابقه، وهاذا إلى تحسين نسبة ولوج الساكنة إلى الطرق، فقد استفاد الإقليم من هذا البرنامج بطول إجمالي يصل إلى 429 كلم، حدد عدد المسالك في 34 مسلًا بمجموع ساكنة مستفيدة حددت في 93050 نسمة، كان للجماعة المدروسة نصيب من هذا الشطر، فلقد خصص لها⁵:

- مشروع إعداد الطريق الرابطة بين الطريق الوطنية رقم 2 ويني بونصار عبر تايمين على طول 19.5 كلم بحجم ساكنة مستفيدة بلغ 3000 نسمة و 7 دواوير؛

- في إطار البرنامج التكميلي، سيتم إعداد الطريق الرابطة بين الطريق الوطنية رقم (8) وزاوية تماديت بطول 7 كلم، وكذلك بناء ثلاث منشآت أو بالأحرى قناطر على الطريق المؤدية إلى دوار تيكراو⁶.

بالفعل استفادت الجماعة من البرنامج الوطني للطرق القروية، ويبقى برنامج الشطر الثاني في مراحل التهيئة، ولم يتم البدء في أشغاله بعد، لكن تبقى هذه الخطوات إيجابية في انتظار ما سيؤتي به من جديد في الأشطر القادمة.





3- الخدمات الاجتماعية وضعف التأطير

3-1- واقع التعليم بالجماعة

يعتبر التعليم من الخدمات الأساسية التي يحق لكل مواطن الاستفادة منها، فدوره يبقى جوهريا في إعداد الإنسان وتمكينه من المكتسبات الضرورية، التي بواسطتها يستطيع أن يكون فاعلا في مجتمعه.

تضع السياسة العمومية نصب عينها مسألة التعليم، لذلك توليه أهمية بالغة في مخططاتها وبرامجها، لأن الهدف الأسمى من التعليم إلى جانب القطاعات الأخرى، يبقى دائما هو تكوين الموارد البشرية، ولا تتحقق هذه الغاية إلا عن طريق التربية و التكوين.

يساهم التعليم بشكل كبير في تكوين الفرد وجعله قادرا على التعامل مع محيطه، وعلى الزيادة من إنتاجيته، فالفرد المتعلم يستطيع الاندماج والتفاعل في مسلسل التنمية الشاملة، والتي هي رهان مسؤولي الشأن المحلي، بحيث هناك رابط قوي بين التعليم والتنمية. لهذا نجد أن التوجهات الكبرى تتجه نحو دعم ورفع مستوى التعليم، عبر التغيير الدوري للبرامج التعليمية من جهة، ثم نحو نشر المؤسسات التعليمية وزيادة تغطيتها بكلا الوسطين خاصة القروي منه، الذي يعاني من ارتفاع مهول لنسبة الأمية والهدر المدرسي.

تعاني الجماعة القروية المدروسة وكغيرها من الجماعات القروية بالمغرب خاصة النائية منها، من معضلة الأمية ومن تقاوم درجة الهدر المدرسي، الذي يبقى بالجماعة له مسبباته، منها ما هو هيكلي ومنها ما هو ذاتي مرتبط بالأسر، ومنها ما هو مرتبط بالوسط الطبيعي الذي يكون ضحيته تدرس الفتاة القروية بالدرجة الأولى.



3-1-1- التعليم الابتدائي

يعد التعليم الابتدائي الحلقة الرئيسة في أسلاك التعليم، فهو مرحلة انتقالية جديدة، يشرع فيها الطفل في مسلسل التمدرس. لهذا تنهج الدولة سياسة القرب في بناء المدارس حول التجمعات السكانية، و الهدف دائما هو الحفاظ على تدرس التلميذ و محاربة الهدر المدرسي خاصة في الوسط القروي، لذا يلاحظ انتشار المجموعات المدرسية التي تشمل مجموعة من الفروعيات المتفرقة حول حيز مجالي معين، يتكون من مجموعة من الدواوير⁷، على غرار ما هو كائن بالجماعة المدروسة.


جدول رقم 2: الخريطة المدرسية بجماعة بني بونصار لموسم 2009-2010

عدد التلاميذ						الأطر التربوية	الوحدة	المجموعة المدرسية
مجموع		إناث		ذكور				
%	العدد	%	العدد	%	العدد			
100	232	54.31	126	45.69	106	6	المركز	م.م بني بونصار
100	98	44.89	44	55.11	54	4	تماديت 1	
100	62	45.16	28	54.84	34	2	تماديت 2	
100	75	54.66	41	45.34	34	3	إعطارن	
100	467	41.17	239	48.83	228	15	المجموع	
100	149	41.61	62	58.39	87	6	المركز	م.م زاوية القناطر
100	64	42.18	27	57.81	37	3	لوطا	
100	92	51.08	47	48.92	45	3	لداي	
100	76	43.42	33	56.58	43	2	أزرو ازمكاغن	
100	54	51.85	28	48.15	26	3	اجريميين	
100	435	34.48	150	65.52	285	17	المجموع	
100	111	39.63	44	60.37	67	5	المركز	م.م تيزي خطاب
100	94	42.55	40	57.45	54	4	تكراو	
100	36	58.33	21	41.67	15	3	تامسييت	
100	0	0	0	0	0	0	تاروى	
100	0	0	0	0	0	0	إجراين	
100	241	43.56	105	56.43	136	12	المجموع	
100	1143	43.21	494	56.78	649	44	المجموع	

المصدر: نيابة وزارة التربية الوطنية بالحسيمة 2011



تتوفر الجماعة القروية المدروسة على ثلاث مجموعات مدرسية، متضمنة مجموعة من الوحدات الفرعية التي تغطي أغلب الدواوير بالجماعة، يبلغ عددها 11 فرعية، غير أن هناك فرعتان شاغرتان بـ م.م تيزي خطاب.

يبلغ عدد الأطر التعليمية التي تعمل بالجماعة 44 معلما بالتعليم الابتدائي، بنسبة تأطير تصل إلى 25 تلميذا لكل أستاذ، نعم يبين هذا العدد بأن التأطير في المستوى المطلوب بالجماعة، لكنه يخفي في حد ذاته مجموعة من المتناقضات خاصة في ظل تواجد الأقسام المشتركة في جميع الفروعيات، فضلا عن مركز مجموعة مدارس تيزي خطاب، ويبقى فقط مركزا مجموعتا بني بونصار وزاوية القناطر لا يتوفران على أقسام مشتركة.

فيما يخص التلاميذ، نجد أن نسبة تـمدرس الفتيات القرويات يصل إلى 43.21% من مجموع التلاميذ الذي يبلغ 1143 تلميذا وتلميذة، وهذا رقم جيد يبين مدى نجاح المجهودات المبذولة في مجال تـمدرس الفتاة، غير أنه يظهر بشكل جلي أن إشكال تـمدرس الفتاة لا يطرح بالابتدائي، وإنما يطرح بإلحاح في مواصلته للدراسة بالمستويات الثانوية. تعاني المجموعات المدرسية الموجودة بالجماعة بشكل كبير من الخصاص في الأساتذة من جهة، ومن جهة ثانية عدم توفر البنيات التعليمية الأساسية لدعم التـمدرس، خاصة فيما يتعلق بالحجرات القليلة العدد والمخربة التي لا تصلح للعملية التعليمية، ثم غياب سكنيات للأساتذة لتحفيزهم على الاستقرار وحسن التدريس، إضافة إلى عدم وجود الخدمات والمرافق الاجتماعية التعليمية من كهرباء وماء خاصة في الفروعيات، فضلا عن غياب المراحيض وأسوار تحفظ هبة المؤسسة التعليمية.



3-1-2- التعليم الثانوي الإعدادي

جدول 3: العرض المدرسي بالثانوية الإعدادية بني بونصار لموسمي 2008-07 و 2011-10

المجموع	الذكور		الإناث		الأقسام		المستوى الإعدادي	المواسم
	العدد	%	العدد	%	العدد	%		
100	176	88.07	155	11.93	21	50	4	08-07
100	95	78.94	75	21.05	20	25	2	
100	95	77.9	74	22.11	21	25	2	
100	366	83.06	304	16.93	62	100	8	
100	120	57.5	69	42.5	51	40	4	11-10
100	78	69.23	54	30.77	24	30	3	
100	83	72.29	60	27.71	23	30	3	
100	281	65.12	183	34.88	98	100	10	

المصدر: مقر إدارة الثانوية الإعدادية 2011

يعد التعليم الثانوي الإعدادي إلى جانب التعليم الابتدائي، مرحلة مهمة في صناعة الإنسان وتنشئته، فالتعليم الثانوي الإعدادي يكسب المرء مزيدا من القدرات والكفاءات، التي تساعد على التمكن من صناعة قراراته بنفسه فيما يخص مصيره، وأساليب أكثر فيما يتعلق بمساهمته الإيجابية في التأثير على نفسه وعلى المجتمع، وبالتالي التأثير على مسار التنمية.

تتوفر الجماعة القروية المدروسة على مؤسسة ثانوية إعدادية وحيدة تأسست بتاريخ 01-09-2003، وهي ذات حجم متوسط، إذ تتوفر على تسع حجرات للدروس، منها ستة قاعات للتعليم العام وحجرتين للتعليم العلمي ووحدة مخصصة للتكنولوجيا، بالإضافة إلى مرافق أخرى،



من قاعة متعددة الوسائط ، قاعة المطالعة، مطبخ وقاعة الأكل، ثم مسجد صغير للصلاة، فضلا عن ملعبين رياضيين.

يشمل نفوذ المؤسسة جماعتي بني بونصار وبني أحمد إمكزن، ويبلغ عدد الأساتذة العاملين بها 14 أستاذا إضافة إلى الإدارة التربوية، وتتوفر على عدد قليل من التلاميذ لم يتجاوز 281 تلميذا خلال موسم 2010-2011، بعدما كانت تتوفر على عدد أكبر من ذلك خلال موسم 07-2008، مما يبين أن هناك تناقصا واضحا في عدد التلاميذ، الذي هم بالأساس فئة الذكور، إذ عرفت تراجعاً كبيراً. بينما فئة الإناث عرفت تزايداً في أعدادها مقارنة مع نفس الموسم، ويرجع ذلك بالأساس إلى فتح الداخلية الكائنة بالقرب من الإعدادية أبوابها واستقبالها لأعداد مهمة من النازلات⁸.

لكن رغم ذلك يضمّر ذلك الارتفاع في طياته تراجعاً كبيراً، بحيث أن عدد التلاميذ في تناقص دائم، وهذا راجع أساساً إلى عدم إقبالهم على تلك الإعدادية، الموجودة في وسط لا يتوفر على أدنى ظروف العيش للكبار فبالأحرى الصغار، من حيث السكن الموجه للكرام فهو غير موجود، وإن وجد فهو لبعض المحظوظين فقط، لكنهم يعانون فيه خصوصاً خلال فصل الشتاء من البرد القارس، فضلاً عن عدم وجود وسائل نقل عمومية أو حتى خاصة متوفرة، تساعد على التردد اليومي بين الثانوية الإعدادية وسكنهم. وتحت هذه الظروف يضطر العديد من التلاميذ إلى عدم مسايرة الدراسة، خاصة القاطنين منهم بدواوير نائية، الشيء الذي يؤدي بهم في النهاية إلى الانقطاع عن الدراسة، وأحياناً أخرى إذا ما توفرت الإمكانيات يلجأ بعض التلاميذ إلى إتمام دراستهم في مدن تارجيست، الحسيمة أو مدن أخرى، وذلك بالاستقرار مع أحد أفراد العائلة أو أحد معارفهم، مما يبين المعاناة الكبيرة التي يشهدها إتمام الدراسة الثانوية بالمجال المدروس. لهذا نلاحظ تراجعاً في عدد المقبلين على التمدريس الثانوي الإعدادي ببني بونصار، الذي لا يفسر بتاتا بتراجع عدد التلاميذ الذين يتمون دراستهم في ظل إتمامها في غير هذه المؤسسة.



3-2- تدني الخدمات الصحية بالجماعة

تعتبر الصحة إلى جانب التعليم من بين الخدمات الأساسية التي يحتاجها المواطن المغربي، وبالتالي تسعى الدولة إلى تحقيق تغطية شاملة للتراب الوطني، في مجال المراكز والمستوصفات الطبية والاستشفائية، منطلقها في ذلك بأن لا تنمية بدون صحة، فتسهيل ولوج السكان إلى الخدمات الصحية من الأولويات التي ركزت عليها الدولة منذ الاستقلال، لكن رغم المجهودات المبذولة فإن هناك عجزا وتأخرا مسجلا في هذا الميدان، وجماعة بني بونصار يوجد مركز صحي تم افتتاحه في 22 نونبر 2010 بديلا للمركز الطبي القديم، الذي تراكمت فيه مجمل عناصر التأخر الطبي بالجماعة، فالمركز الجديد افتتح بمساهمة كبيرة من طرف جمعية إسبانية تدعى Medicus mundi، و التي تكلفت بالجانب المتعلق بالعتاد والمعدات الطبية⁹، هنا يظهر الجانب الجمعي والتعاون الدولي في مجال النهوض بأوضاع الساكنة الأكثر حرمانا في هذا المجال.



صورة 5: المركز الصحي ببني بونصار (المصدر: البحث الميداني 2011)

يوجد بالجماعة مركز طبي يقدم خدماته بشكل عادي للساكنة المحلية، لكن السؤال المطروح هو: ما نوع هذه الخدمات في ظل غياب الطبيب والنقص في الأطر؟



لقد كان بالمركز الطبي طبيب يمارس عمله ويقدم خدماته باستمرار، كما صرح لنا من طرف مسؤولي الصحة بالمندوبية الإقليمية للصحة، لكنه غادر المركز في إطار الحركة الانتقالية ولم يتم تعويضه حتى الآن.

إن تشكو الجماعة المدروسة من غياب كلي للطبيب إضافة إلى نقص الأطر، بحيث توجد ممرضة واحدة تسهر على افتتاح المركز من جهة، وعلى تقديم تلك الخدمات البسيطة من جهة ثانية، لكنها في نفس الوقت تبقى ضرورية وذات أهمية في حياة المواطنين، رغم أن هذه الخدمات ذات طابع وقائي أكثر منه علاجي، بحيث أحيانا تقوم هذه الممرضة بدور الطبيب في اقتراح الأدوية، في ظل الحاجة الملحة للسكان لخدمة الطبيب.

يقدم المركز الطبي خدمات متنوعة ولو أنها في الأصل بسيطة، لكنها تبقى مهمة في تغطية المركز لتراب الجماعة ومن بين تلك الخدمات نذكر:

- برامج صحة الأم و الطفل؛

- عملية التلقيح للأطفال و النساء؛

- مراقبة الحمل و الولادة؛

- التخطيط العائلي؛

- المراقبة الوبائية؛

- الصحة المدرسية؛

- برامج البيئة الصحية.

الملاحظ من خلال ما سبق، أن نوعية الخدمات التي يقدمها المركز متنوعة وأساسية، لكن تبقى في الواقع بعيدة التحقق، وذلك في ظل غياب التأطير الطبي الذي يبقى بالجماعة



ضعيفا جدا، في انتظار ما يحمله المستقبل من تغيرات جديدة، لهذا فإن الخدمات الصحية المقدمة بالمركز الطبي لا ترقى إلى مستوى طموحات الساكنة المحلية، وهذا ما تؤكدته نتائج البحث الميداني.

جدول رقم 4: تقييم مستوى الخدمات الصحية حسب رأي الأسر بالدواوين المدروسين

المجموع		مستوى الخدمات الصحية						الدوار
		ضعيفة		متوسطة		جيدة		
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
100	35	77.14	27	17.14	6	5.71	2	أمدارفو
100	71	70.42	50	29.57	21	0	0	لوطا
100	106	72.64	77	25.47	27	1.88	2	المجموع

المصدر: البحث الميداني، يوليوز 2011



جدول رقم 5: وجهة السكان للاستفادة من الخدمات الصحية بالدواوين المدروسين											
الدوار	الخدمات الصحية	مركز بني بونصار		تاركيست		الحسيمة		أماكن مختلفة		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أعارفو	الطب العام	0	0	35	100	0	0	0	0	35	100
	الطب الخاص	0	0	0	0	29	82.85	6	17.14	35	100
	إقتناء الأدوية	5	14.28	24	68.57	0	0	6	17.14	35	100
لوطا	الطب العام	0	0	70	98.59	0	0	1	1.4	71	100
	الطب الخاص	0	0	0	0	66	92.95	5	7.04	71	100
	إقتناء الأدوية	31	43.66	33	46.47	0	0	7	9.85	71	100
المجموع	الطب العام	0	0	105	99.05	0	0	1	0.09	106	100
	الطب الخاص	0	0	0	0	95	89.62	11	10.37	106	100
	إقتناء الأدوية	36	33.96	57	53.77	0	0	13	12.26	106	100

المصدر: البحث الميداني، يوليوز 2011

إن رأي السكان حول جودة الخدمات الصحية بالدواوين المدروسين، لا يعبر عن الرضا عن مستوى تلك الخدمات المقدمة، فال فئة التي عبرت عن ضعف جودة الخدمات وصلت إلى 72.64% بمجموع الدواوين، بنسبة 77.14% بدوار أمدارفو 70.42% بدوار لوطا، في حين أن الفئة التي عبرت عن تواضع تلك الخدمات لا تتجاوز 25.47%، أما الفئة التي عبرت عن رضاها فتبقى ضعيفة جدا ولا تتعدى 1.88%.



بالفعل، إن السواد الأعظم من الساكنة غير راضين عن مستوى الخدمات المقدمة بالمركز الطبي، لهذا فإنهم يبحثون عن بدائل دائما لتلبية حاجاتهم الأساسية في التطبيب، لهذا فتوجههم يكون نحو مدن مختلفة.

الواضح من خلال الجدول أن السكان تتعدد وجهتهم للاستفادة من الخدمات الطبية وذلك حسب نوع الخدمة، فبالنسبة لخدمة الطب العام يظهر بجلاء مدى ارتباط الساكنة بمجالهم القريب ألا وهو مدينة تارجيست، التي تمارس إشعاعا كبيرا في المنطقة بحيث أنها هي أقرب مركز حضري يتوفر على خدمة الطب العام، فنسبة استحواذ هذه المدينة بمجموع الدواوين وصلت إلى 99.05%، وهو رقم يبين الأهمية الكبيرة التي تشكلها المدينة، لكن إشعاعها في مجال خدمة الطب العام له مسبباته، والتي يبقى أهمها طبيعة التضرس والعزلة التي تعيش فيها الجماعة، مما يفرض على الساكنة التوجه إلى أقرب مركز يتوفر فيه النقل ذهابا وإيابا، هنا تكمن أهمية مدينة تارجيست، أما بالنسبة لخدمة الطب الخاص فيظهر الإشعاع الكبير والدور الحيوي، الذي تلعبه مدينة الحسيمة باعتبارها عاصمة الإقليم من جهة، وأيضا لأنها تتوفر على أطباء اختصاصيين ذوي جودة عالية، الشيء الذي ينعكس على إقبال السكان عليهم، فقد وصلت النسبة إلى 89.62% بالمجموع أي 82.85% بدوار أمدارفو و 92.95% بدوار لوطا، لكن تبقى فئة من السكان تفضل التوجه إلى مدن أخرى مثل مدن تطوان، طنجة وفاس، ويرجع هذا التفضيل إلى أن هذه الفئة لها تسهيلات ومحفزات في ذلك، من بينها تواجد السكن بالمدن في ملكهم أو في ملكية أحد أقاربهم، مما يوفر عليهم عناء الذهاب والإياب وتتمثل هذه الفئة في حدود 10.37%، أما بالنسبة لخدمة اقتناء الأدوية، فتبقى الاستفادة منها مرتبطة بالمركز القريب الذي يعرف ترددا أكبر للساكنة ويكون متوفرا على صيدلية، هنا تبرز أهمية مدينة تارجيست بالدرجة الأولى، بحيث تضم أكثر من نصف السكان الراغبين في خدمة اقتناء الأدوية بحوالي 53.77%، ويأتي بعدها مركز الجماعة الذي يتوفر على صيدلية هي عبارة عن مستودع للأدوية، لكن ما يعاب على هذه الصيدلية وما يفسر عدم استحواذها على نسبة أكبر من تلك المسجلة، هو عدم مداومتها على فتح أبوابها، الشيء الذي ولد عند السكان توجهها بعدم الاعتماد عليها.



4- الماء و الكهرباء

تبقى تجهيزات الماء و الكهرباء من التجهيزات الضرورية التي يستوجب توفرها بالمجال، ذلك لما لها من انعكاسات إيجابية على مستوى عيش السكان، لهذا عمدت الدولة منذ الاستقلال إلى تخطيط استراتيجيات قطاعية تهدف إلى كهرية العالم القروي من جهة، وتزويده بالماء الشروب من جهة ثانية، وقد يساهم في هذا المجال التعاون الدولي ومجموعة من الجمعيات الدولية والمنظمات، التي كان لها الأثر الكبير في تسريع وتيرة تنفيذ البرامج المسطرة عبر المساهمات والهبات المقدمة إلى المغرب.

لقد نهج المغرب في إطار تعميم الماء والكهرباء سياسة التخطيط القريب والمتوسط المدى عبر أشطر بالعالم القروي، وبذلك تم تسريع وتيرة تفعيل تلك البرامج، وبالتالي قد وصلت إلى درجة من النجاح خاصة في مجال الكهرية القروية. وبالجماعة المدروسة فإنها وصلت في تغطيتها من ناحية الكهرباء إلى مستوى التعميم، يستثنى من ذلك بعض المساكن المنفرقة في الجبال، لكنها في طور التزود بالكهرباء. أما فيما يخص شبكة الماء فإنها منعقدة إلا في مركز الجماعة، الذي يدخل في نفوذ تجهيزات الجماعة القروية، والتي عملت بنفسها على تزويد المركز من خلال بناء صهريج لكنه يبقى محدودا.

4-1- الماء وغياب الشبكة العمومية

يعتبر الماء عنصرا أساسيا في استمرار الحياة البشرية و فاعلا مهما في تحقيق التنمية، ذلك أن مختلف الاستعمالات اليومية والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها لا تتم إلا عن طريق الماء، فهي مرتبطة تمام الارتباط بالماء، لذا فأهميته تستدعي تزويد التجمعات السكانية بالماء الشروب من جهة، وبالماء الصالح للاستعمالات الاقتصادية وغيرها من جهة أخرى، وفي السنوات الأخيرة وبفعل النمو الديموغرافي السريع والتطور الاقتصادي، ازدادت وتيرة استهلاك



الماء بالإضافة إلى ارتفاع وتيرة تذييره، الشيء الذي يطرح بشدة مسألة المحافظة على الماء وتنظيم استعماله في ظل إشكالية الجفاف، والتي طرحت بشدة في العقدين الأخيرين.

يعاني المغرب كغيره من الدول من إشكالية الجفاف، وفي إطار الحد من آثاره خاصة بالوسط القروي الذي يعاني منه بشدة نهج المغرب مجموعة من الإجراءات، يبقى أهمها تزويد العالم القروي بالماء الشروب عبر سن سياسة عمومية، سطرت برنامج تزويد العالم القروي بالماء الشروب PAGER، وهو برنامج انطلق العمل به ابتداء من سنة 1995، ويهدف إلى الرفع من نسبة استفادة سكان العالم القروي من الماء الصالح للشرب، من 14% في سنة 1994 إلى 80% في أفق سنة 2003، ويسهر على تنفيذ البرنامج المكتب الوطني للماء الصالح للشرب.

عموما يبقى ما سبق ذكره مسجلا على المستوى الوطني، وفيما يخص تراب الجماعة المدروسة، فلم تصل أصداء البرنامج بعد، فيما يزال ارتباط السكان مصيريا بما تجود به المياه الباطنية، من خلال العيون المتفجرة هنا وهناك بمعظم مجال الجماعة. وفيما يخص الآبار والاعتماد عليها، فإنها لا تكتسي أهمية بتراب الجماعة وذلك نظرا لارتفاع تكلفة حفرها، ثم نظرا للطابع الجزافي الذي تتخذه في الحصول على الماء، وإن وجد فهو ذو صبيب منخفض لا يصلح إلا لتزود المساكن، أما فيما يخص الاستعمالات الفلاحية فالآبار تبقى من المستبعد الاعتماد عليها، لذا نجد الساكنة تعتمد بشكل أساسي وكلي على العيون التي لا تتطلب أي تكاليف مادية، اللهم المجهود البدني في حمل تلك القنينات الذي هو منوط بالنساء.

يدفع اعتماد السكان على العيون في التزود بالماء الشروب إلى إيلائها عناية بالغة، إذ يتضامنون فيما بينهم في بنائها وتجهيزها بصنابير، إن كانت العين متفجرة محليا أي في عين المكان، أما إذا كانت بعيدة عن الدوار أو المشر فإنهم يقومون ببناء صهريج محليا، ويربطونه بأنابيب مطاطية موصلة إلى الدوار في تلك الساقية التي بنوها وجعلوها.



إذن تبقى العيون المصدر الرئيس في تزويد الساكنة بالماء الشروب، لكن في ظل ما تعرفه الجماعة من غياب فرشات وسدائم باطنية، ثم في ظل ما يفرضه تأخر تساقط الأمطار، أو عبارة أخرى تأثيرات الجفاف، فإن الوضع يتطلب ربط الجماعة بشبكة عمومية للتزود بالماء الصالح للشرب.

4-2- الكهرباء وصل إلى درجة التعميم

يعتبر الكهرباء عنصرا أساسيا في التجهيزات التي يجب أن يستفيد منها كل مواطن، فتوفر الكهرباء بمجال ما يساعد بشكل كبير على تحسين إطار عيش السكان. وبالوسط القروي يساهم الكهرباء في تطور الأساليب والأدوات الفلاحية مما ينعكس على مستوى المكننة، لذا فالكهرباء مقترن بالتنمية خاصة وأنه يساعد على جلب الاستثمارات في الميدان الفلاحي. ونظرا لأهميته قامت الدولة بإعداد مجموعة من البرامج تهدف إلى تزويد العالم القروي بالكهرباء، من قبيل البرنامج الوطني للكهربة القروية والبرنامج الوطني للكهربة اللامركزية ثم البرنامج النموذجي للكهربة، هذه البرامج لم تلاق نجاحا في تنفيذها، فتم التفكير في برنامج أكثر شمولية خلال بداية التسعينات، تتحقق فيه الإرادة العمومية مع الواقع المعيش للسكان القرويين، وهكذا جاء برنامج الكهرباء القروية الشمولي PERG، وقد عرف انطلاقته ابتداء من سنة 1996، حدد غلاف تنفيذه الزمني في 15 سنة، ويشمل تغطية 1000 دوار بالمملكة، تساهم فيه كل من الجماعات المحلية والمكتب الوطني للكهرباء إضافة إلى الساكنة.



جدول رقم 6: توزيع الدواوير حسب سنة الربط بالكهرباء بالجماعة المدروسة

الدواوير	سنة الإنتهاء
المركز	1999
أمدارفو	1999
إبرقشيشن	2001
أدوز	2001
أمراض	2001
لوطا	2001
تيزي خطاب	2001
إعطارن	2002
إمعكطان	2002
تامديت	2002
أزرو ازكاغن	2005
شراحي	2005
إجريميين	2005
لداي	2005
زرقنت	2006
عزيب أمدارفو	2006
إزورداز	2006
أوني	2007



2007	تيكراو
2007	زاوية ألمو

المصدر: وكالة المكتب الوطني للكهرباء بئاركيست 2011

بدأ الشروع في تطبيق البرنامج بالجماعة المدروسة في سنة 1999، وقد بلغ مستوى التعميم في سنة 2007، وبذلك يكون هذا البرنامج من أنجح البرامج التي نفذتها الدولة على الإطلاق.

خاتمة:

كان من إسقاطات تطبيق سياسة التقويم الهيكلي بالمغرب، تراجع اهتمام الدولة بالعالم القروي والنشاط الفلاحي وتهميش القطاعات الاجتماعية، وتعويضها بإتباع سياسة تروم إلى إعادة التوازنات الاقتصادية الكبرى، وهكذا لم تخصص الموارد الضرورية للبنيات التحتية والخدمات الاجتماعية الأساسية بعموم البلاد. وما زاد في ذلك عدم قيام المؤسسة الجماعية بأدوارها في مجال البنية التحتية خصوصا، ولهذا تعرف الجماعة المدروسة خصاوصا حادا وعجزا مستمرا في البنية التحتية والتجهيزات الاجتماعية، فالشبكة الطرقية تتميز بالهشاشة والنقص ولا تغطي تراب الجماعة، بحيث ما زالت هناك دواوير معزولة، وأخرى شبه معزولة خاصة في فصل الشتاء، أما التجهيزات الأساسية فهي الأخرى إما نادرة أو ضعيفة الجودة. وعليه، وجب تبني سياسة قوية للنهوض بهذا المجال لتسهيل اللوجية وجذب الاستثمار، خاصة وأنه يخص العيش الكريم للمواطن.



الهوامش:

- وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري (2000)، إستراتيجية 2020 للتنمية القروية، الطبعة الأولى، نشر المجلس العام للتنمية الفلاحية ص. 22.
- 2 - مونوغرافية الجماعة القروية بني بونصار (2004).
- 3 - الخريطتان الطبوغرافيتان لتاركيست وكتامة لسنة 1966 بمقياس 1/50000.
- 4 - مديرية النقل و التجهيز الحسيمة، مصلحة التجهيزات الأساسية (2011).
- 5 - نفس المصدر السابق.
- 6 - نفس المصدر السابق.
- 7 - إبراهيم كينو (2008)، السياسة التعليمية وتنمية قطاع التعليم بالمجال المغربي: قراءة في بعض الأسس والآليات والنتائج، ورد ضمن الملتقى الرابع للجغرافيين العرب "نحو استراتيجية لتخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، الرباط، ص 696.
- 8 - مقر إدارة الثانوية الإعدادية (2011).
- 9 - مقر المركز الطبي ببني بونصار (2011).